**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي و البحث العلمي**

**جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي**

**كلية الآداب واللغات**

**قسم اللغة العربية وآدابها** **تخصص: لغة**

**مذكرة بعنوان :**

# منهج ابن قتيبة

## في كتابه ﴿تأويل مشكل القرآن﴾

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها**

**إعداد الطالبات:**

- سعاد خزازنة
- نجمة مليك
- هيام داودي

**الأستاذة المشرفة:**

عائشة عويسات

**الموسم الجامعي:** 2014-2015م

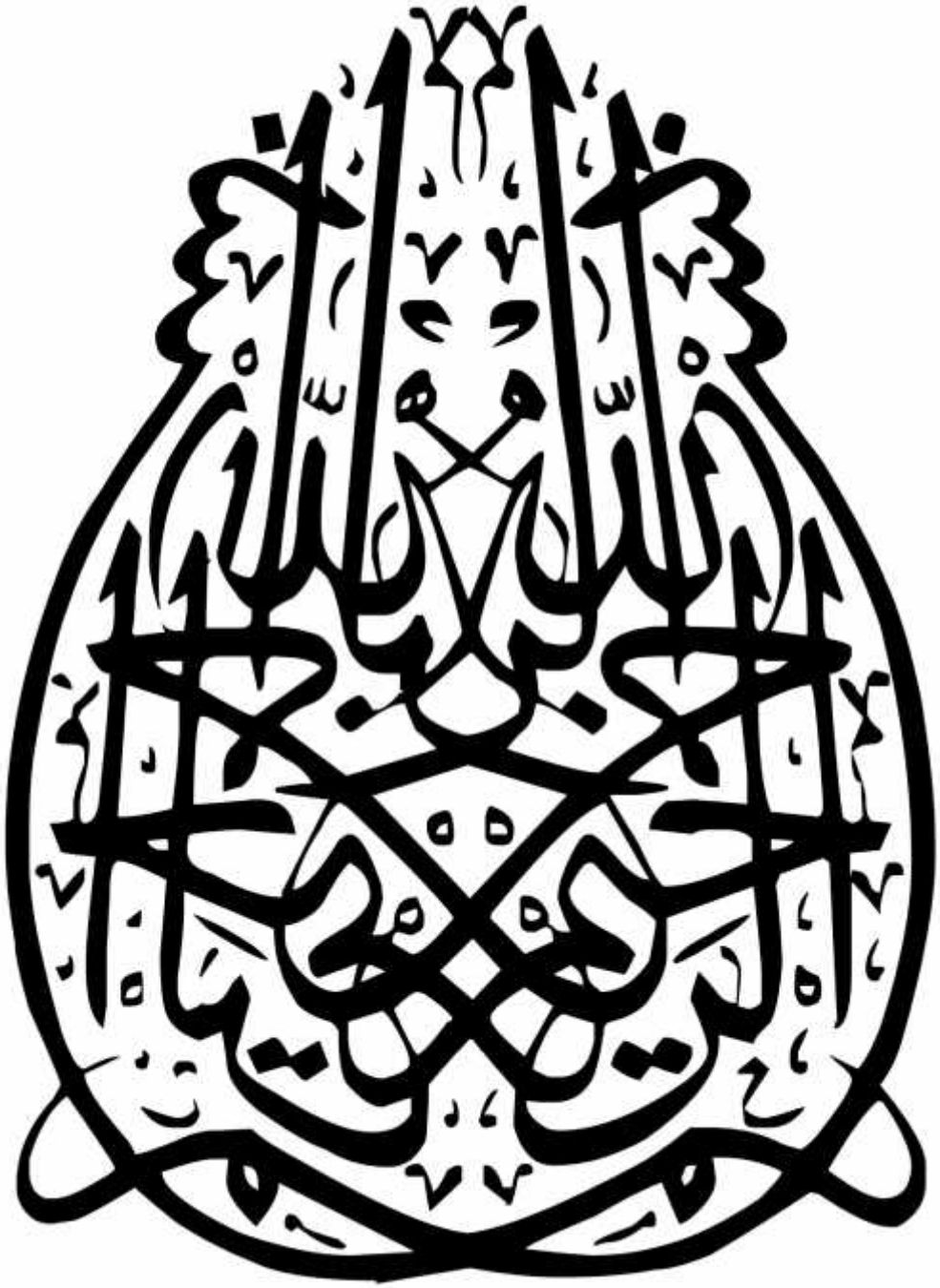

# شكر وعرفان

قبل أن تعانق الفرحة عنان السماء ملوِّحةً بفرحة النجاح، وقبل أن يحطّ طالب المنى رحال رحلته التعليمية والبدء في مرحلة جديدة يجب نشكر لله ﷻ على توفيقنا لإنجاز هذا العمل ا القائل:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: 7

ثم أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا بالنصح والتوجيه وأخص بالذكر أستاذتنا شرفة عويسات عائشة وعلى تشجيعاتها المحفزة لنا، وأشكر كل من ساعدنا في بحثنا هذا من أساتذة وزملاء ولو بفكرة أو رأي علمي استنرنا به.

سعاد*** نجمة*** هيام

# مُقَدِّمَةٌ

## مقدمة

الحمد لله الذي كشف حجب الغفلة بآيات المثاني، وهتك الضلالة بالنبي العدناني، أنزل عليه القرآن بالهداية والبيان وأرسله بإيضاح البيان، فكشف مكنون المعاني لبديع بيانه، وفصاحة لسانه، فاللهم صل وسلم عليه ما تعاقب الملوان، صلاة تقديم ولا تريم إنه منعم كريم.

ابن قتيبة عالم من أكبر علماء القرن الثالث الهجري ، ويعد دائرة معارف شاملة ، وهو موسوعة كاملة ، له عديد من المصنفات في كل لون من ألوان الثقافة والمعرفة ، غشى مجالسه علماء التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب والتاريخ، وأخذ من هؤلاء ، مما هيأ له أسباب التفوق والظهور.

فإذا انتقلنا إلى حديث البلاغة عند ابن قتيبة وتصفحنا كتبه العديدة التي تحت أيدينا وأهمها بالنسبة لبحثنا ( تأويل مشكل القرآن ) ، تراه قد تناول ألوانا بلاغية عديدة أومأنا إليها كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير ، والاستفهام وخروجه من أصل وضعه، والفصل والوصل، والمجاز العقلي والتكرار والقلب، والتشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز المرسل والكناية والتعريض واللفظ والمعنى وغيرهم.

وفي دراستنا للبلاغة عند ابن قتيبة من خلال كتابه ( تأويل مشكل القرآن ) ، اقتصرنا في مذكرتنا على خمسة فنون بلاغية فيه، وهي: الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض، واللفظ والمعنى.

فما هو مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة أو ماهي الإضافات الجديدة التي جاء بها على من سبقوه في التطرق لموضوع البلاغة؟

وفيما تمثلت دراسته لعلوم البلاغة في كتابه تأويل مشكل القرآن؟

وما أهم ما ميز منهجه في ذلك ؟

فرغبتنا للتطلع إلى ما حققه ابن قتيبة في ميدان البلاغة واعتزازنا بتراثنا الأدبي ، كلاهما جعلنا نتلهف لمعرفة الملامح الأولى لظهور هذا العلم الوافر

فاستهلّينا دراستنا من خلال وضع خطة لذلك، بدايتها كانت مقدمة كاشفة عن مكنوناتها، والمنهج المتبع في هذه الدراسة

هذا ويشمل بحثنا على مدخل وفصلين وخاتمة ، وذيل بقائمة للمصادر والمراجع والفهرس، فالمدخل جاء تحت عنوان التعريف بابن قتيبة وبكتابه ( مشكل تأويل القرآن) ، ولقد تناولنا في المدخل نسبه وحياته وشيوخه

وطبيعة عصره وأهم مؤلفاته، كما تناولنا سبب تأليفه ( لمشكل تأويل القرآن) والتعريف بهذا الأخير ، ثم ذكرنا وقائع وفاته وأنهينا المدخل بعرض للمدونة.

أما الفصل الأول فتمحور حول القضايا البلاغية في كتاب ابن قتيبة الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض ثم قضية اللفظ والمعنى، بادئين الفصل بمفهوم البلاغة لدى ابن قتيبة.

أما الفصل الثاني فكان تفصيلا لما تميزت به علوم البلاغة في كتاب (تأويل مشكل القرآن) وتظهر طبيعة التأليف العامة في هذا العصر على هذا المُؤلَّف وينسحب على مدلول المصطلحات البلاغية.

هذا وقد شمل كل فصل على توطئة في بدايته وأهم الاستنتاجات في نهايته ملخصة بشكل نقاط.

ولقد اتبعنا في هذا البحث اللغوي منهجًا يعتمد على إجراء الوصف الذي يتخلله التحليل ، وهذا البحث كغيره من البحوث اللغوية قد تم بالاعتماد على مصادر ومراجع مختلفة ومن اهمها: كتاب مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري لأحمد جمال العمري، والبلاغة تطور وتاريخ بشوقي ضيف ، والموجز في تاريخ البلاغة لمازن مبارك، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري لطه أحمد إبراهيم.

إن الطرق ملتوية وذات عقبات، ولعل أشد عقبة واجهتنا في بحثنا هي قلة المصادر وحتى المراجع التي تناولت ابن قتيبة بالدراسة، وبالتعريف به وبأعماله ، مما صعب علينا التعمق في حياته وفي التفاصيل المتعلقة بالدراسات البلاغية لديه، على عكس الدراسات النقدية عنه.

ولكن بالاستعانة بالله ﷻ ثم بالأستاذة المشرفة التي لم تدخر مجهودا في النصح والتوجيه، بما تيسر إتمام هذه المذكرة على الوجه الأفضل.

وآخر العمل في هذه المذكرة كان خاتمة سيطرت فيها بعض النتائج المتوصل إليها راجين من المولى عزّ وجلّ قبول عمل متواضع والنفع بالعلم والعمل والصلاح.

# مدخل

# مدخل: التعريف بابن قتيبة وكتابه ﴿تأويل مشكل القرآن﴾

تمهيد:

1. نبذة عن حياة ابن قتيبة:

أ. اسمه ونسبه

ب. مولده ونشأته العلمية:

ج. شيوخه:

2. طبيعة عصر ابن قتيبة:

3. مؤلفات ابن قتيبة:

4. وفاته:

5. التعريف بالكتاب:

6. سبب تأليف الكتاب:

**تمهيد:**

نال علماء البلاغة حظهم من الدراسة والبحث، فكانت مؤلفاتهم أكثر تداولاً، بين الدارسين والباحثين، الذين ركزوا في بحوثهم حول هؤلاء العلماء من أمثال: الجرجاني، السكاكي، الجاحظ، الباقلاني، وغيرهم... ومن جهة أخرى هناك من لم يسعفهم الحظ-على حدّ اطّلاعنا- في نيل نصيبهم من الدراسة والتعمق في مجال العلوم البلاغية، وقلّما نجد حولهم دراسات جادة أو بحوثاً، تأخذ فيها، كحقل البلاغة، وحقل الإعجاز القرآني.

ومن بين هؤلاء الأعلام نجد ابن قتيبة (ت 276 هـ)، صاحب كتاب "تأويل مشكل القرآن" الذي ألّف كتابه في وقت كانت فيه البلاغة في البدايات الأولى من ظهور معالمها، فجاء ابن قتيبة بكتابه "تأويل مشكل القرآن" الذي يدرس فيه المصطلحات البلاغية من مجاز واستعارة وكناية، وبصورة موسعة عن سابقيه، وكان الدافع الأول لتأليف كتابه هو الردّ عن الطاعنين للقرآن الكريم من خلال تبيين بلاغة كلام الله فيه وحقائق إعجازه.

## 1. نبذة عن حياة ابن قتيبة:

### أ. اسمه ونسبه

ابن قتيبة من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة "مرو"[1]، ولم يعرف عن اسمه إلاّ أنّه هو "أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أو جعفر الكاتب"[2] وجاء في كتاب الأعلام هو "أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري* أبو جعفر"[3].

### ب. مولده ونشأته العلمية:

ولد سنة (213 هـ)، في أواخر خلافة المأمون، وقد اختلف المؤرخون له في تعيين المدينة التي وُلد بها، فقال السمعاني، والنفطي: أنه وُلد ببغداد، وقال ابن النديم، وابن الأنباري، وابن الأثير: أنه ولد بالكوفة وقد اتفقوا على أنّه نشأ ببغداد التي كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء في كل فن وتهوى إليها أفئدة المثقفين في كل أنحاء الدولة الإسلامية، وقد كان ابن قتيبة – منذ شبابه الباكر – ذا نفس طلعة، تواقة إلى المعرفة دفعته إلى أن يتعلق من كل علم بسبب، وأن يضرب فيه بسهم وقد اقتضاه ذلك أن يغشى مجالس علماء الحديث والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والتاريخ، فغشى من مجالسهم ما غشى، وثقف عنهم ما ثقف مما مكّن له من أسباب القوة وهيأ من وسائل التفوق والتبريز[4]، كان يحفظ كتب أبيه وهي واحد وعشرون كتاباً في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار[5]، قال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرّزاد إن أبا جعفر ابن قتيبة حدّث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً ولم يكن معه كتاب[6].

---

[1] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م، ص: 02.

[2] ياقوت الحموي الرّومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: د/ إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص :293.

* الدّينوري: نسبة لمدينة الدينور التابعة لكردستان إيران، التي وُلي فيها ابن قتيبة منصب القضاء فَنُسبَ إليها.

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ماي 2002م، ج1، ص :156.

[4] ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن، ص :03.

[5] خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص :156.

[6] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ص :293.

**ج. شيوخه:**

تتلمذ ابن قتيبة على يد طائفة كبيرة من أعلام عصره وأخذ منهم العلم والوافر ونذكر مهم ما يلي[1]:

1) والده (مسلم بن قتيبة): وقد أشار إلى ذلك في عيون الأخبار حيث يقول "حدثني أبي، عن أبي العتاهية" و"حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي".

2) أحمد بن السيد اللحياني، صاحب أبو عبيدة القاسم بن سلاّم، وقد حدثه اللحياني بكتاب الأموال وكتاب غريب الحديث لأبي عبيدة، في سنة 231 هـ وكان عمر ابن قتيبة – آنذاك – ثمانية عشر عامًا.

3) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري، صاحب طبقات الشعراء (139-231 هـ).

4) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، المعروف بابن راموية (161-238 هـ) وهو "إمام جليل في الفقه والحديث، صَحِب الشافعي وناظره".

5) أبو عثمان الجاحظ المتوفي سنة 254 هـ وقد أجاز ابن قتيبة ببعض كتبه كما صرح به ابن قتيبة في عيون الأخبار حيث يقول 199/3 و216 و249 "وفيها أجاز لنا عمرو بن بحر مكتبه.

6) أبو الفضل: العباس بن الفوج الرياشي، تلميذ الأصمعي، الذي قتله الزنج وهو قائم يصلي في مسجده (سنة 257 هـ).

7) أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، تلميذ سيبويه، والأصمعي وأبي عبيدة (المتوفى سنة 239 هـ)

8) أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي البصري (المتوفى سنة 248 هـ).

9) أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب السلمي المروزي، (المتوفى سنة 246 هـ).

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 03-04.

10) محمد بن زياد بن عبد الله بن زياد بن الربيع الزيادي البصري، (المتوفى سنة 252 هـ).

11) أبو حاتم، سهل بن محمد الحشاني (المتوفى سنة 248 هـ أو 250 هـ أو 255 هـ).

12) دعبل بن علي الخزاعي الشاعر (148 - 246 هـ).

13) شبابة بن سوار، (المتوفى سنة 254 هـ).

14) القاضي يحي بن أكثم، (المتوفى سنة 242 هـ)، وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة[1].

## 2. طبيعة عصر ابن قتيبة:

لقد شهد ابن قتيبة وعاصر القرن الثالث الهجري، حيث احتدم الصراع بين العرب والشعوبية، وتعرض الإسلام والكيان العربي لاختبار شديد، حيث تبلورت الفكرة الشعوبية في الفترة الأموية من القرن الثاني، واندفعت بقوة في العصر العباسي، وهي تمثل جانبًا من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة، فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع ثقافي ديني سع، وبدأت وكأنها تحمل روحًا إسلامية، ثم انكشفت أهدافها الحقيقية في العصر العباسي[2]، وقد نشطت الشعوبية بصورة خاصة في العراق، كما تدل الآثار الأدبية الباقية من أقلام الجاحظي وابن قتيبة وأبي حيان التوحيدي، وابن المقفع وبشار بن برد وغيرهم، ثم في الأندلس كما في كتابات ابن عبدربه، كما نجد أقطارها في بلاد أخرى من الإسلام، ولكنها أقوى ما تكون في العراق، وكل هذا بسبب شاعر يتغنى بأمجاد ساسان، وزنديق يبشر بالمانوية، كاتب ينقل تراث الغربي القدماء في الحضارة والدين، بدأت بالأول داعية إلى مساواة الموالي بالعرب، وهذه خطوة طبيعية في فترة سيادة عربية، حيث لم يكن للموالي أي سيادة خطيرة[3].

أما اللسان فيعطي تعريفًا واضحًا للشعوبية حين بقول "الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم".

عندما تظهر الشعوبية واضحة، ترى العصبية الضيقة لديهم، وترى حقدًا على العرب وحسدًا

[1] المصدر السابق، ص 4- 6.

[2] عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة ، بيروت، ط3 ، 1981م،ص:63.

[3] عبد العزيز الدوري، المرجع نفسه، ص: 63.

لهم، وعملاً ضدهم، وقد ظهرت هذه المقاومة للعرب والهجوم عليهم لدى الفرس بالدرجة الأولى، في طبقات مختلفة بأشكال متباينة، ولكن هذا لا يعني أنها شملت الجميع، بل إنها تمثلت في جماعات في مختلف الفئات، وقد كان التمسك بالدين رادعًا عن الاندفاع في تيار الشعوبية، "فأما أشراف العجم وذو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم، ويرون الشرف نسبًا ثابتًا"[1].

وحين تنتقل من الأشراف إلى الجماعات الأخرى، يطالعنا الأدباء والكتاب الذين حملوا راية الشعوبية وأعلنوا الاتجاه، وكان العصر العباسي في مطلعه خاصة، فترة رفع فيها الغطاء وتكشفت الميول والاتجاهات التي كانت مُستترة أو مكبوتة لتندفع بعنف وتطرف، وهذا طبيعي في الفترات التي ب الثورات، ووجدت جماعات الشعوبية فرصتها، حين اعتقدت أن الصرح العربي قد انهار تحت ضربات قوات أعجمية، من الخرسانيين من الدرجة الأولى كما أن العباسيين أرادوا إظهار المساواة، وأرادوا تآلف الشعوب غير العربية خاصة الفرس، وسعوا لتكوين دول إسلامية تتعاون فيها الشعوب المختلفة، فأفسحوا المجال واسعًا أمامها لنظهر نشاطها فكري وغير فكري[2]، لكن العباسيون بدورهم لقوا خيبة مريرة في آمالهم، بأن تحقيق المساواة يضمن لهم التعاون والتأييد الكليين من غير العرب، فقد جابوا الثورات وحركة الزندقة التي هددت كيانهم.

والواقع أن الشعوبية بمفهومها الدّقيق لم تنكشف تمامًا إلا في العصر العباسي الأول، وعندئذ لا ترى مجال للفصل بين الشعوبية والتسوية، بل يختلط اللفظان كما ترى في كتابات ابن قتيبة والجاحظ، يقول الجاحظ في (البيان) وتبدأ على اسم الله يذكر مذهب الشعوبية ومن يتجلى باسم التسوية.

أما النثر فقد كان خطابة وكتابة، ورسائل، وتصنيفًا ومقامات ورسائل، وأقاصيص، اتسع فيه مجال التفكير[3]، وعني الكتاب بربط الأسباب بالمسببات، ومالوا إلى سهولة في العبارة، والتأنق في

[1] محمد كرد علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العلمية،بيروت،دط،1913م، ص :345.

[2] محمد كرد علي، المرجع نفسه، ص :48.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م،ص:42.

اللفظ، والجودة في الرفض، والتفعيل والتطويل، ومال الكتاب في الرسائل والمقدمات إلى التنميق والزخرفة في تكلف ظاهر، يميل إلى الشكل أكثر مما يميل إلى المعنى[1].

وقد انتشرت في القرن الثالث الهجري حركة الزندقة التي تعد نزعة فكرية فردية ، تنكر الله أو تشك فيه، أو تنكر نبوة محمد، وهي في إنكارها أو شكها لا تنكر أو تشك بإله العرب لتعترف بإله الفرس، ولا نبوة محمد، لتقر نبوة ماني أو مزدك، فهي فوق الشعوب والأجناس ومستقلة عن الشعوب والأجناس[2].

لكن هاتين الحركتين المستقلتين في الأصل، يفقدان شيئًا من استقلالهما، ويقتربان من بعضهما بفعل عدة من العوامل فمن هذه الملاحظات:

أن هذه الشعوبية نشأت كحركة ثقافية سياسية تمثل رد فعل حضاري إذا جازي التعبير، في وسط الموالي خصوصا الفرس منهم وهو أمر طبيعي، ذلك أن حركة كهذه تطالب في أضعف وجوهها، بمساواة العرب بالشعوب الأخرى، وفي أشد وجوهها بتقصير العرب، وتفضيل الآخرين عليهم، لا يمكن أن تنبت في بيئة عربية، وبين العرب أنفسهم، الشعب الغالب، صاحب الحكم والسلطان وحامل القرآن والإسلام[3].

والذين تولوا الدفاع عن العرب ورد مطاعن الشعوبية هم من أولهم الجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبد ربه.

ويجدر الوقوف على رأي الجاحظ، الذي ترك كل ما يوجه إلى العرب من مطاعن، وراح في كتابه "العصا" يقلّبها ويقلّب معها أسماءها وصفاتها كما يريد، فلا يترك صفة لها ولا شيئًا يتصل بها، ولم تكن العصا إلا واحدًا من المطاعن التي تأتي في آخر السلّم مما يأخذه الشعوبية عن العرب[4].

---

[1] حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص :43.

[2] أحمد فرج الله، في الزندقة والشعوبية، تص: قسم اللجنة العلمية في شبكة الإمامين الحسينين، كنزا، www.alhassanain.com، ص 108.

[3] المرجع نفسه، ص :109.

[4] عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص: 09.

ثم بدأ الشعراء، وبدأ الكتاب الفرس ينظمون ويؤلفون، ولو وقفعوا عند ذلك ما أثر الفرس ماضيهم، وما كان لهم من سلطان وفكر وفن لما أنكر عليهم أحد، ونظر بشار، وكتب أبو عبيدة، وكتب عدن وكتب غيرهم، لا في مآثر الفرس ولكن في مثالب العرب، حاولوا أن يجردوهم من كل فضائلهم عيوبًا[1].

ولكن هاتين الظاهرتين قد ضعفتا مع منتصف القرن الثالث الهجري بعد أن هدأت النفوس، وتراجعت حدة العواطف، ولم يعد سبب للنزاع بينهما، ولم تعد تسمع للزندقة الأدبية ولا الشعوبية الأدبية صوت[2].

ثم حصل تطور خطير آخر، غير من اتجاه الصراع وشغل العرب عن الفرس، وشغل الفرس عن العرب، فقد دخلت أمم وأقوام أخرى كالترك والديلم والمغاربة، وتحول الصراع إلى صراع بين هذه الأمم، لكن كان صراع سلطة ونفوذ بين الزعماء.

وتخلت الشعوبية الأدبية عن مكانها إلى شعوبية سياسية ولو يعد العرب والفرس طرفاها، ولا بشّار بن برد وأبو عبيدة من قادتها بل شارك فيه، وكان من أطرافها الأمم والأقوام الأخرى.

بقي أن نلاحظ أنه حتى في العصر العباسي الذي كان نفوذ الفرس هو المسيطر والطاغي، كان النسب العربي ساحرًا وجذابًا، يتعلق به وهذا ما نراه واضحًا في هجاء بعض الموالي الذين تركوا نسبهم الأصلي، واستبدلوا به نسبًا عربيًا.

## 3. مؤلفات ابن قتيبة:

دكر أصحاب كتب التراجم لابن قتيبة الكثير من المصنفات نذكر منها:

**كتاب غريب الحديث**: وكان إلى منتصف القرن الرابع، يعد ثاني اثنين ذهب بإعجاب العلماء وتقديرهم في هذا الفن.

[1] عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص :24.

[2] عبد العزيز الدوري، المرجع نفسه، ص:49.

وقال أبو سليمان الخطابي في مقدمة كتاب غريب الحديث فكان أول من سبق إليه ودل عليه أبو عبيدة القاسم بن سلام، فإنه قدر تنظيم عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث، فصار كتابه إماما لأهل[1] الحديث به يتذاكرون وإليه يتحاكم ثم انتهج نهجه أوب محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة، فتتبع ما أغفله أبو عبيدة من ذلك[2] وقد ألف الحسن بن عبد الله الأصبهاني كتابا في نقده أسماه "الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث"[3].

**كتاب عيون الأخبار**: وفيه عشرة كتب:

كتاب السلطان – كتاب الحرب – كتاب السؤدد – كتاب الطبائع والأخلاق – كتاب العلم[4] – كتاب الزهد – كتاب الإخوان – كتاب الحوائج – كتاب الطعام – كتاب النساء[5] وقد طبعته دار الكتب المصرية في سنة 1343 هـ، طبعة يشيع فيها التصحيف والتحريف، ولعل مرد ذلك إلى أنه من أوائل الكتب التي تولى القسم الأدبي تحقيقها.

**كتاب أدب الكاتب**: ويحتوي على أربعة كتب:

كتاب المعرفة – كتاب تقوين اليد وكتاب تقويم اللسان وكتاب تقويم الأبنية وقد طبع منه اثنا عشر بابا سنة 1877م ثم طبع كاملا في لندن سنة 1901م وطبع بعد ذلك بمصر مرارًا[6] وقد شرحه أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي المتوفى سنة 421 هـ وسمى شرحه: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وقد جعله ثلاثة أجزاء كما شرحه سليمان بن محمد الزهراوي تلميذ أبي القاسم الزجاجي وشرحه سليمان بن محمد الزهراوي وأيضا إسحاق بن إبراهيم الفارابي وأوب جعفر وأبو الحزم وغيرهم[7].

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ،ص :09.
[2] المصدر نفسه، ص 10.
[3] المصدر نفسه، ص 11.
[4] المصدر نفسه، ص 20.
[5] المصدر نفسه، ص 20.
[6] المصدر نفسه، ص 21.
[7] المصدر نفسه، ص 22.

**كتاب الشعر والشعراء**: طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في لندن سنة 1875م ثم أعيد طبعه فيها سنة 1902م بتحقيق المستشرق الكبير د يغويه وطبع بعد ذلك في مصر وفي غيرها، وكان آخرها طبعة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر[1].

**كتاب تأويل مختلف الحديث**: رواه عنه حفيده عبد الواحد بن أحمد كما في فهرس ابن خير (199-200هـ). طبع بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة 1326 هـ، باسم: "تأويل مختلف الحديث" وهو كتاب فريد، تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث، وما تحدثوا عنهم به، من شتى التهم والمثالب، وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظام[2]. ولقد كان عمل المؤلف رحمه الله بيان الحقيقة بالأدلة العلمية، وتفنيد المزاعم وكشف قصور الفهم بالملابسات المرافقة لورود النص، ويعتبر هذا الكتاب – إضافة إلى كتب أخرى في الموضوع نفسه – نافذة تطل منها على التيارات الفكرية والمذهبية التي كانت موجودة في ق 3[3] وهي مؤلفات ابن قتيبة، أيضا نذكر جواهر الألفاظ وتأويل مشكل القرآن وكتاب الأنواء وكتاب تقويم اللسان وإعراب القرآن ونذكر كتاب الأشربة وكتاب الخيل .... إلخ.

## 4. وفاته:

كان سبب وفاة ابن قتيبة فيما يقول تلميذه أبو القاسم إبراهيم الصائغ أنّه أكل هريسة فأصاب حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فمازال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات، وذلك أول ليلة رجب سنة ست وسبعين ومائتين[4].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد مكان وفاته: "يقول أكثر المؤرخين أنّه مات وهو على القضاء وكانت وفاته بمصر"[5].

---

[1] ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن، ص :23.

[2] المصدر نفسه، ص: 24.

[3] ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تح: محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، بيروت،ط2،1992م، ص :10.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص :39.

[5] خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 1،ص: 156.

## 5. التعريف بالكتاب:

كتاب (تأويل مشكل القرآن) للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ)، وهو كتاب فريد في بابه ويعتبر من أوائل الكتب التي بحثت في مشكل القرآن الكريم، والشكوك التي تثار حوله، والمطاعن التي تسدد نحوه[1].

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن المطاعن، فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها، ثم عقد أبواباً للرد عليهم في وجوه القراءات، وما ادّعوه على القرآن من اللحن، وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آية وما قالوه في المتشابه، كما أجاب عن قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، من أراد لعبادة الهدى والبيان[2].

بعد ذلك أبواب المجاز، لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته، وبسببه تشعبت الطرق، واختلف النِحل.

قته في إيراد أبواب المجاز أنّه يذكر ما أتى منها في كتاب الله يعقبه بأمثاله: من الشعر ولغات العرب، وما استعمله الناس في كلامهم[3].

وقد بدأ بباب الاستعارة، ثم باب المقلوب، وباب الحذف والاختصار، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه، وباب الكناية والتعريض، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

، أبواب في الكتاب، وهو باب تأويل الحروف التي أدعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، فتحدث عن الحروف المقطعة، واختلاف المفسرين فيها، ثمّ خلص من الكلام عليها إلى الكلام على شكل سور القرآن؛ فذكر ما في السورة منه ثم يؤوله؛ ولكنّه لن يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف في المصحف، بل ذكرها حسبما عنّ له من مشاكلها. وقد لا يستوفي الكلام على مشاكل السورة التي يذكرها، فيعيد ذكرها مرة أو مرات مثلما فعل في سورة البقرة والأنعام وسورة النحل والنساء[4].

---

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تع: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص :03 - 04.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار التراث، ص :80.

[3] المصدر نفسه، ص :نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص :80 - 81.

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تأويله لمشكل السور التي ذكرها، عقد باباً عظيم القدر، بالغ الأهمية، وهو باب (اللفظ الواحد للمعاني المختلفة) تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظًا من الألفاظ التي جاءت في القرآن متحدة المباني، مختلفة المعاني، كالقضاء والبلاء، والأمة والرؤية والإمام والإسلام ... وغيرها[1].

ثم ذكر ابن قتيبة بعد ذلك (باب تفسير حروف المعاني، وما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف) كأين، وأنى، ولولا، ولما، ولا جرَم، وتعالى وهلم، ورويدًا، ولدن[2].

ثم ختم كتابه بباب (دخول بعض حروف الصفات مكان بعض) ومما هو جدير بالملاحظة أن عنوان هذا الباب والذب قبله مظهر من مظاهر ابن قتيبة بين كلام الكوفيين والبصريين، فحروف المعاني تعبير بصري؛ وحروف الصفات تعبير كوفي[3].

## 6. سبب تأليف الكتاب:

يعد كتاب "تأويل مشكل القرآن" ثمرة هامة من ثمار ذلك الدفاع القويم المستميت من القرآن والذي أبلى فيه ابن قتيبة البلاء الحسن لما أزال الشكوك التي أثارها الملاحدة والشعوبية وخشى أن تكون عاقبة أمرها خسراً للأعمار والأحداث؛ فانتدب نفسه لدرئها، وتبيين عوجها، ورد كيدها إلى نحور أصحابها. وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام[4] البيان المشرق الرصين، واقتداره على النقد العلمي المتين، وشمول معارفه وذكاء مداركه؛ وسعة عقله الذي تمثل أدبين، وتثقف ثقافتين؛ هما العربية والفارسية.

يحدثنا ابن قتيبة عما بعثه إلى تأليف هذا الكتاب، وما صنعه فيه. فيقول ص 17: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدّلوه عن سبيله، ثم قضعوا

[1] المصدر السابق ، ص: 81.
[2] المصدر نفسه، ص :81.
[3] المصدر نفسه، ص: 81.
[4] ينظر المصدر نفسه، ص: 79.

عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدلوا ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمر والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور..

فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفتُ هذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن؛ مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملا ما أعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات العرب، لأرى المعاند ضع المجاز وطريق الإمكان، في غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد على من له أصل التفسير؛ إن كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفته، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدت في الألفاظ ونقصت وقدّمت وأخرّت، وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتى يستوي في فهمه السامعون"[1].

وقد ذكر ابن قتيبة في مقدمته أن فضل القرآن لا يعرفه إلا "من كثر نظره واتسع علمه؛ وفهم مذاهب العرب، وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم، أمة أوتيت - من العارضة والبيان واتساع المجال – ما أوتيته العرب ..."، ثم ذكر حال العرب في مباني ألفاظها وإعرابها وألوان فروقها بين معاني الألفاظ، وتحدث عمالها من الشعر "الذي أقامه الله لهل مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعًا، ولآدابها حافظًا، ولأنسابها مقيدًا، ولإخبارها ديوانًا لا يرث على الدهر ولا يبيد على مرّ الزمان ..."[2].

**عرض المدونة:**

اقتصرنا في دراستنا لكتاب (تأويل مشكل القرآن) على المصطلحات البلاغية فيه، المتمثلة في: المجاز،

الاستعارة، الكناية والتعريض، فتناولنا هاته المصطلحات، بدايةً بتعريفها كما وردت عن ابن قتيبة وعند باقي البلاغيين الذين ظهرت ثمار جهودهم طيلة القرن الثالث للهجري وبقيت خالدة بعدها.

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار التراث، ص :77.

[2] المصدر نفسه، ص :78.

أمّا فكر ابن قتيبة حول المصطلحات البلاغية لم تكن وليدة الصدفة عنده، بل كان ذلك نتيجة تأثره بأعلام عصره كالجاحظ (ت 255 هـ) والفرّاء (ت 207 هـ) وأبي عبيدة (ت 201 هـ)، وهذا ما يتضح لنا من خلال دراستنا المفصّلة في الفصل الأول لهاته المصطلحات، كما لعبة طبيعة عصر ابن قتيبة عاملاً آخر للدفع به للخوص في البلاغة والتوسع فيها، فقد انتشرت في عصره ظاهرة الشعوبية والملاحدة وكثر الطاعنين في كتاب الله القرآن الكريم.

فدفعته غيرته إلى الخوض في المسائل البلاغية، فارتبطت عنده هذه الأخيرة ارتباطًا وثيقًا بمسائل الإعجاز القرآني وبيان أساليبه اللغوية في التعبير للرّد عليهم.

كما اقتصرنا كذلك في الدراسة، على قضية لها علاقة بالبلاغة وهي قضية اللفظ والمعنى والذي خصّص لها ابن قتيبة بابًا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) سماه مخالفة ظاهر اللفظ معناه مكلّلا بالعديد من النماذج من القرآن الكريم والشعر أيضا، ولكن هذا لم يمنعه من دراسة قضايا أخرى في كتابه مثل فقه اللغة والنحو.

## الفصل الأول:

# القضايا البلاغية عند بن قتيبة

# في كتابه تأويل مشكل القرآن

# الفصل الأول: القضايا البلاغية عند بن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن

**توطئة:**

**أولا: مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة:**

**ثانيا: المجاز والإستعارة:**

1. المجاز:
2. الاستعارة:

**ثالثا: الكناية والتعريض:**

1. الكناية
2. التعريض.

**رابعا: قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة:**

1. قضية اللفظ والمعنى في البيئة الاعتزالية.
2. قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة

**ملخص:**

**توطئة:**

إن مشاركة ابن قتيبة ( ت 276هـ) من خلال مجهوداته في إبراز وتسجيل الملاحظات البلاغية كانت واضحة وجديرة بالاهتمام في كتابه " تأويل مشكل القرآن" الذي وقف يذود فيه عن القرآن العظيم ، ولُغته والوقوف على وجوه الاعجاز فيه، بكل طاقته، وكان عمله هذا سببا في إتجاه علماء اللغة المسلمين إلى دراسة القرآن وبلاغته والدفاع عنه وكما كان آثر هذا الكتاب جليّا باجتيازه من مرحلة الإشارات والآراء، إلى مرحلة التأليف في موضوع كامل، محلّلا للعناصر البلاغية والأسلوبية.

من خلال بعض المفاهيم كالمجاز والاستعارة ، الكناية والتعريض وغيرها من مجازات تميز كلام العرب.

## أولا: مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة:

إن الحديث عن مفهوم البلاغة في فكر ابن قتيبة، يتطلب من الباحث الوقوف والنظر في كل مصنف من مصنفاته، وخاصة "تأويل مشكل القرآن" إن الباحث المدقق في هذا الكتاب، يستطيع أن يدرك بسهولة أن الرجل قد امتص "معاني القرآن" للفرّاء[1]، وهو كتاب عني صاحبه فيه بالتخريج النحوي للآيات، كما عني بشرح الألفاظ شرحاً لغوياً تؤيده شواهد الشعر وأوجه الاستعمال المعروفة...

ففي "معاني القرآن" يقول الفرّاء في قوله تعالى: «فما ربحت تجارتهم.....»بما قال القائل: كيف تربح التجارة؟ وإنما يربح التاجر، وذلك من كلام العرب، ربح بيعك، وخسر بيعك فسحق القول بذلك، وهذا ذكر واضح للمجاز، وإن لم يسمه الفراء[2].

ويقول في موضع آخر وقوله: «فقلنا اضربوه ببعضها» يقال إنه ضرب بالفخذ اليمنى، وبعضهم يقول: ضرب بالذنب. وهذا ما عرف عند البلاغيين فيما بعد باسم ايجار الحذف. ويشير الفراء في مواضع كثيرة من كتابه الى غير ذلك من الاشارات الكثيرة التي تتناول الكناية والتشبيه والالتفات والتقديم والتأخير.[3]

كما أن ابن قتيبة قد التمس مفهومه للبلاغة كذلك من كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ). قد كانت كلمة المجاز عنده مرادفة لكلمة التفسير أو التأويل فكان الكتاب البيان لأساليب القرآن اللغوية في التعبير. ونحن حين نستعرض مادة هذه الكتب القرآنية نجد فيها اشارات كثيرة الى أمور أصبحت فيما بعد أنواعاً بلاغية ذات أسماء أو اصطلاحات محددة.[4]

مجاز القرآن كذلك اشارات الى أمور بلاغية كالمجاز بمعناه البلاغي. قال أبو عبيدة: (ومن مجاز ما حذف وفيه مضمر).

---

[1] أحمد جمال العمري، مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس هجري، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص :58-59.

[2] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، الاسكندرية، دط، دت، ص: 39-40.

[3] المرجع نفسه، ص: 40.

[4] المرجع نفسه، ص: 39.

وفيه اشارات الى التقديم والتأخير، والى الاستعارة في الأدوات، والى غير ذلك مما جاء في ثنايا شرحه اللغوي لألفاظ القرآن وأساليب تعبيره.[1]

إن ابن قتيبة لم يضف جديداً إلا بالقياس الى أبي عبيدة إلا ما عرف به من دقة التبويب، وإلا بعض اشارات وبعض تفاصيل هنا وهناك، كأن يتوسع في الحديث عن الكناية أو يعرض للمبالغة.[2]

كلمة المجاز عند ابن قتيبة لاتزال تستخدم بمعناها الواسع الذي استخدمها فيه أبو عبيدة، وقد مضى يعرض صوراً منه ذاكراً أنها مبثوثة في الكتب السماوية، وعرض لصور قرآنية ما يدخل في المجاز المرسل والاستعارة.[3]

والبلاغة عند ابن قتيبة وتصفحنا كتبه العديدة التي تحت ايدينا وأهمها بالنسبة للبحث البلاغي في كتاب (تأويل مشكل القرآن) نراه قد تناول ألواناً بلاغية عديدة أومانا اليها بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير، والاستفهام وخروجه من أهل وضعه، والفصل والوصل، والمجاز العقلي والتكرار والقلب. تشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز والمرسل والكناية والتعويض، ولبعض المحسنات البديعية كالتوجيه والمشاكلة والفواصل القرآنية.[4]

إن الناظر فيما أتى به ابن قتيبة من ألوان بلاغية، في بعض كتبه، سبقه تسلك في عقد منظم، لذلك نصب ابن قتيبة نفسه لهذا العمل التنظيمي الجليل، فظهر –مصنفه تأويل مشكل القرآن– أحسن تبويباً وأكثر تنظيماً[5].

[1] المرجع السابق، ص: 41-42.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص: 60.

[3] المرجع نفسه، ص: 59.

[4] عبدالقادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، دط، 1998م، ص: 179.

[5] أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، ص: 59.

**ثانيا: المجاز والإستعارة:**

## 1. المجاز:

إن فهم ابن قتيبة "**للمجاز**" يخالف فهم أبو عبيدة، فهذا الأخير يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات "مجازه كذا" مثال ذلك: قال الله تعالى: «سنفرغ لكم أيّها الثقلان». والله تبارك تعالى لا يشغله شأن عن شأن. ومجازه:

سنقصد لكم بعد طول الترك والاهمال. "وتفسيره كذا" مثل: قال الله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: «وأزواجه أمهاتهم»، أي كأمهاتهم في الحرمات. و "معناه كذا" مثل: وتأول قوم في قوله تعالى: «في أي صورة ما شاء ركبك» معنى ذلك التناسخ واستعمل كذلك "غريبة"[1] و"تقديره" و"تأويله" كقوله ابن قتيبة في كتابه وأما تأولهم في قوله جل وعز للسماء والأرض:«ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين». وإنه عبارة عن تكوينهلهما. على أن معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة "**المجاز**" عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته[2]،أما ما يراه ابن قتيبة فمجاز عنده قسيم لحقيقة، وليس بمعنى التفسير كما هو عند أبو عبيدة، لذلك سمعناه يقول: «وذهب قوم في قول الله[3]وكلامه الى أنه ليس قولا وكلاما على الحقيقة، وإنما هو ايجاد للمعاني، وصرفوه في كثير من القرآن الى المجاز»[4].

إذا فمفهوم ابن قتيبة للمجاز كمفهوم الجاحظ فقدر أبناه يستعمله بالمعنى المقابل للحقيقة ح يرد على من ينكر أن يكون في اللغة مجاز سواء في القرآن الكريم أم في غيره، وجعل المجاز مفخرة من مفاخر العرب في لغتهم. وقد تميز ابن قتيبة في أنه توسع في بحثه أكثر من الجاحظ، فحقد له باباً خاصا.[5]

---

[1] ينظر أبو عبيدة، مجاز القرآن، تع :محمود فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ج1، ص: 18.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص: 19.

[3] ينظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص: 106.

[4] ينظر المصدر نفسه، ص: 166.

[5] وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة (حتى نهاية القرن السادس الهجري)، دار الثقافة، الدوحة، دط، 1985 م، ص: 336.

واستند في تأكيد مفهوم المجاز على آيات من القرآن الكريم: كقوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء»[1]. وذهبوا في "الوحي" ههنا إلى الالهام وقالوا في قوله للسماء والأرض: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[2]، لم يقل الله ولم يقولا، وكيف يخاطب معدوما؟ وإنما هذا عبارة لكوّناهم فكانتا[3].

وكما ذهب الى قول الشعراء وكلام العرب ومثل ذلك: قال "شاعر" حكاية عن ناقته:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني

أكل الدهر جل وارتحال أما يبقي علي ولا يبقيني

وهي لم تقل شيئًا من هذا، ولكنه رآها في حلل من الجهد والكلال، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل الذي ذكر.[4]

وكقول "عنترة" في فرسه:

فازورّ من وقع القنا يلبانه وشكا إلي بقبره وتحمحم[5]

لما كان الذي أصابه يشتكى مثله ويستعير منه، جعله مشتكيًا مستقبراً، وليس هناك شكوى ولا عبرة.

كما قال "ذو الرمة":

دعت مية الأعداد واستبدلت بها خناطيل آجال من العين خذل[6]

والأعداد: المياه لما انتقلت مية اليها ورغبت عن مائها، كانت كأنها دعتها.

[1] سورة الشورى، الآية 01

[2] سورة فصلت، الآية 11.

[3] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 107.

[4] المصدر نفسه ، ص: 107.

[5] المصدر نفسه،ص: نفسها.

[6] المصدر السابق، ص: 108.

وقالوا ومن احناش الارض، وأحناش الطير في المهام والرحال –مالا يظهر ولا يصوت إلا بالليل كالصدى والضوع والبوم[1] واليراع[2]. فإذا سمع أحدهم حسيس هامة أو زقاء بوم، أو رأى لمع يراعة من بعد، وجب قلبه، وقف شعره وذهبت به المانون.

ز في مفهومه بجمع جميع ألوان البيان، ويفصل في نطاقه بعض عناصر علم المعاني، كما حددها علماء البلاغة المتأخرين كالتقديم والتأخير والحذف والتكرار، والقلب كما شمل أيضا ما خالف ظاهر اللفظ معناه، كمخاطبة الواحدة مخاطبة الجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين الى غير ذلك من الأبواب، كذلك يشمل فنون علم البيان، كالاستعارة والكناية والتعريض. وهي الألوان البلاغية التي اعتبرها ابن المعتز بعد ذلك من ألوان البديع.

والمجاز المقابل للحقيقة –الوارد في القرآن الكريم– قد أثار العديد من القضايا عند علماء الدين فبينما يعترف بوجوده الجمهور، إلا أن من الطوائف الفقصية من ينكر، ويحمله كله على الظاهر –هم الظاهرية– أتباع داود بن علي الظاهري (ت270هـ)، ومن ارتضى ذلك من المالكية لحنابلة، وهؤلاء تنحصر وجهة نظرهم في شبهتهم في أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، وأن المتكلم لا يعدل اليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة، فيستعير ذلك، وذلك محال على الله تعالى[3].

بيد أن القارئ المتأمل، المتذوق لحلاوة القرآن، وعذوبة لفظه وسحر بيانه، وجمال معناه، يرى أن هذه الشبهة باطلة، وهذا الادعاء زائف، فلو سقط "المجاز" من القرآن، سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز، وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها[4].

ذا اقتربنا من مفهوم ابن قتيبة حول هذا الموضوع، فحده يرى أن المجاز واقع في القرآن، ولا يمكن إعقاله أو انكاره، وقد وضح هذا الأمر في رده على من وصفهم بالطاغين، الذين يزعمون أن المجاز كذب.

[1] المصدر نفسه، ص: نفسها.

[2] المصدر نفسه، ص : نفسها.

[3] جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، علوم الدين، مصر، د ط، 1862م،ج2، ص: 43.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص: 43.

وأما الطاعنون على القرآن "بالمجاز" فإنهم استدلوا على كذب المجاز بأن الجدل لا يريد، والقرية لا تسأل كما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ هذا من أشنع جهالاتهم، وأدلها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم ولوكان المجاز كذباً، اكل فعل ينسب الى غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا فاسد[1].

لأننا نقول بنت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص الشعر، وتقول: كان هذا الفعل منكر في وقت كذا والفعل لم يكن وإنما كون وتقول: كان الله، وكان بمعنى حدث والله جل وعز قبل كل شيء بلا غاية، لم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن[2].

والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾[3] وإنما يعزم عليه، ويقول أيضاً: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ وإنما يربح فيها.

كما أيد "صاحب العمدة" ابن رشيق (ت456هـ) بن قتيبة ومعنى المجاز عنده طريق القول ومأخذه، وهو مصدر "جزت مجازاً" كما تقول "قمت مقاماً، وقلت مقالاً" وأخذ عنه هذا ، بين المجاز والكذب، لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً، والفعل لم يكن وإنما يكون، قال: "ولو قلنا للمنكر لقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ كيف كنت أنت قائلاً في جدار رأيته على شفا انهيار، رأيت جداراً ماذا؟ لم يجد بداً من أن يقول: "جدار يهم أن ينقض" أو يكاد أن ينقض، أو يقارب أن ينقض، وأيّاً ما قال، فقد جعله فاعلاً، ولا أحسب يصل الى هذا المعنى في شيء من لغات المعجم ألا بمثل هذه الألفاظ وعنده أيضًا بأن المجاز في كثير الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والاسماع[4].

[1] ينظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط، دار الكتب العلمية، ص: 132.

[2] المصدر نفسه ، ص: 132

[3] سورة محمد، الآية 21.

[4] ابن رشيق، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، سوريا، ط1، 1981م، ج1، ص: 265.

## 2. الاستعارة:

لقد أولى ابن قتيبة بفن **الاستعارة** عناية كبيرة، لأن أكثر المجاز يقع فيها. ولقد فهم ابن قتيبة الاستعارة فهماً واسعاً، لذلك اشتملت في مفهومه على الاستعارة المفيدة، وغير المفيدة كما تشمل"**الكناية**" وما عرف تحت فصل "**المجاز المرسل**" في عرف البلاغيين المتأخرين.

ويستهل هذا الفصل –عن الاستعارة– بقوله "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً.

فيقولون للمطر سماء، لأنه من السماء ينزل، فيقال: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم[1]، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم وعيناه وإن كانوا غضابا

ثم ينتقل ابن قتيبة، فيعرض أمثلة لها من القرآن الكريم، ثم يدافع عنها كما دافع من قبل عن ز، مدللاً على أن الاستعارة حقيقة واضحة، وليست كذباً، لأن الكذب يتنزه كلام الله عنه[2]، ويستدل على صحتها بقوله تعالى في سورة الدخان:﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: 29] تقول العرب: "إذا أرادت تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن، رفيع المكان، عام النفع، كثير الصنائع، أظلمت الشمس له وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسماء والأرض، يريدون لغة في وصف المصيبة به، وأنها قد شملت وعمت، وليس ذلك بكذب، لأنهم جميعاً متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه"[3]وقوله تعالى:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[4]؛ أي عن شدة من الأمر، كذلك قال "قتادة". وقال "ابراهيم": عن أمر عظيم. وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى معاناته والجد فيه، شمر عن ساقه، فاستعيرت "الساق" في موضع الشدة. وقوله عز وجل:﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[5] أي قصدنا لأعمالهم وعمدناها. والأصل أن من أراد القدوم الى موضع عمد له وقصده. "والهباء المنثور": ما رأيته في شعاع الشمس الداخل من

[1] ينظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط دار الكتب العلمية، ص: 135.

[2] أحمد جمال العمري، مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، ص: 64.

[3] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، المرجع السابق، ص: 127.

[4] سورة القلم، الآية 42.

[5] سورة الفرقان، الآية 23.

كوة البيت. " والهباء المنبث": ما تسطع من سنابك الخيل، وإنما أراد أنا أبطلناه كما أن مبطل لا يلتمس ولا ينتفع به.

وفي قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾.[ البقرة: 235]

يقول ابن قتيبة – في توضيع القيم الجمالية: "أي خطًا ونصيبًا، وأصل الذنوب الدلو، فاستعير في موضع النصب"[1].

كما قلنا أن مفهوم الاستعارة عند ابن قتيبة، تشمل بعض صور المجاز المرسل فمن ذلك قوله عن الصورة التي شملتها الاستعارة في تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: 107]

يعني جنته، سماها رحمة، لأن دخولهم اياها كان برحمته[2]، فدخول الجنة بسبب الرحمة علاقة سببية، ومثله قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾، وقد توضع "الرحمة" موضع "المطر" لأنه ينزل برحمته.

بيد أن علماء البيان المتأخرين يقولون: إنه مجاز مرسل علاقته الحالية، فإن الرحمة تحل في الجنة.

ويقول أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: ذكراً حسناً، وهذا مجاز مرسل في عرف البلاغيين المتأخرين علاقته الآلية، لأن اللسان آلة الذكر الجميل، والثناء الحسن[3].

وكذلك تشمل الاستعارة عنده، ما عرف باسم "الكناية" عند البلاغيين اللاحقين. ففي قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ البقرة: 235.

يقول ابن قتيبة: "السر: النكاح، لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر، فاستعير له السر"[4].

فهذا التوضيح وغيره مما فهمه ابن قتيبة داخلا في نطاق الاستعارة. فهو من قبيل الكناية في عرف البلاغيين المتأخرين. ومن هنا نستطيع أن ندرك أن مفهوم الكناية في ذهن ابن قتيبة لم يكن

[1] ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح، السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، د ت، ص: 423.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط دار الكتب العلمية، ص: 145،

[3] المصدر نفسه، ص: 146.

[4] ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت، ص: 64.

واضحا أو محددا. بل إننا لا نخالف الحقيقة، حيث نقول أن التشبيه أيضاً مفهوم عند ابن قتيبة على أنه لون من الاستعارة، ويتضح ذلك من قوله تعالى في سورة البقرة: «نساؤكم حرث لكم» أي: مزروع لكم كما تزرع الأرض. وما دام التشبيه داخل في الاستعارة عنده، فإنه يكون مجازاً عنده: وهذا ما دفع ابن فارس (ت395هـ) الى اعتبار التشبيه مجازاً، أبعده عن دائرة نطاق الحقيقة.[1]

**ثالثا: الكناية والتعريض:**

## 1. الكناية

أ. **الكناية لغة:** ما يتكلم به الانسان ويريد به غيره، وهي مصدر كنيتُ أو كنوتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.

ب. **الكناية عند علماء البيان:** لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى معه، كلفظ "طويل النجاد"، المراد به طول القامة فيجاز أن يراد به طول النجاد، أي علاقة السيف يضاً، فهي تخالف المجاز من جهة امكان ارادة المعنى الحقيقي مع ارادة لازمة فخلاف المجاز، فإنه لا يجوز فيه ارادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة، من ارادته، ومثل ذلك قولهم: كثير الرماد، يضنون به أنه كثير القري والكرم، وقول الحضر من:

قد كـــان تعجب بعضهـــم براعـتي  حتى رأيـــن تنحـذجي وسعـــــالي

كنى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحذج والسعال وقولهم: "المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه"، وقوله:

وما بـــك فيّ مـــن عيـــــب فـإني  حبـــان الكلـب معـــزول الفصيل

فإن "حبان الكلب كناية –وكذا معزول الفصيل" والمراد منهما ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدي هذا المعنى.[2]

[1] أحمد جمال العمري، مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، ص: 66.

[2] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، دت، ص :286.

ج. **الكناية اصطلاحاً**: لفظ أطلق واريد به لازم معناه، ومع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء في الشب والكبر، فيقولون عرضت لفلان فترة وعرض له يمحو ذنوبه – وأقمر ليله، ونور غض شبابه، وفضفض الزمان أبنوسه، وجاءه النذير، وقرع ناجذ الحلم، وارتاض برجام الدهر، وأدرك زمان الحنكة، ورفض غزة الصبا.

ومن الكنايات أيضاً، أنه يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن الكريم: "وحملناه على ذات ألواح ودسر"[1] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد: "إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد" (ص 31) يعني الخيل، وقال بعض المتقدمين:

سألـــت قتيبـــة عـــن أبيها محبـــة  في الروح هل ركب الأغـــر الأشقـرا

يعني هل قتل؟ لأن الأعز الأشقر وصف الدم، فأقامه مقام اسمه[2].

"يريد أن كل شارب يشرب بكفه، وهذا ليس ببخل فيشرب بكف من بخل، وهو معنى لطيف"[3] لذا لا نراه يصنف حول الكناية وإن كان يعنونه باسم (لطافة المعنى).

على كل حال، فلقد انتبه ابن قتيبة الى عنصر الكناية، وذكر أنها أنواع ولها مواضع:

ا أنها تكنى عن اسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته، أو كتبت اليه، إذا كانت الأسماء قد تتفق، أو لتعظمه في المخاطبة بالكنية، لأنها تدل على الحنكة وتخبر على الاكتمال[4] ويفهم من كلام ابن قتيبة أننا إن نادينا انساناً بكنية كأنا نقول له (أبو أحمد) تكون قد ميزته عن غيره، لأن الأسماء قد تتفق، وقد تعظمه إذا ما ناديته بكنية حـ ث أن الاسم المجرد لا يفيد ما تفيد الكنية.

[1] سورة القمر، الآية 13.

[2] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: 287.

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص: 99.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط دار الكتب العلمية، ص: 199.

وقد يكون الخوف من ذكر الاسم دافعاً الى استعمار أسلوب الكناية والالتجاء الى الخفاء والمداجاة وفي ذلك يقول ابن قتيبة "ومن الكناية قوله تعالى: «يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً»[1] إن قوما ذهبوا الى أنه (فلان) الى المداجاة[2].

فإذا نظرنا الى تأويل مختلف الحديث، نجد أن الكناية قد لمعت في ذهن ابن قتيبة، وتجلت صورها البلاغية، حتى صار الرجل مصدراً لهذا اللون البلاغي عند كل البلاغيين اللاحقين، فاستعانوا بشواهده وتوضيحاته وتحليلاته، وأصبحت دراسته مصدراً لهم، ورائدهم الأول، يقول ابن قتيبة في تحديد مفهومه للكناية: "وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه"[3].

ومن هذا القول يتضح، أن ابن قتيبة كان على دراية بالكناية، ومن تحليلاته البلاغية حول الكناية، تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة: 75][4] .

يقول ابن قتيبة: "دلَّ : "دلَّ أكلهما الطعام على معنى الحدث، لأن من أكل الطعام، فلا بد له من أن يحدث" وهذا التحليل أيده المبرد وأن كان قد وضحه، ونص على وجود عدم الكناية فيه، قال في تفسير هذه الآية: قال الله عز وجل في المسيح ابن مريم وأمه عليهما السلام –كانا يأكلان الطعام– إنما هو كناية عن قضاء الحاجة"[5].

وقد التفت أبو العباس تعلب (ت 291) الى ما ذكره ابن قتيبة، في هذا الباب، لذلك رأيناه ينتفع به بما ذكره وحلله، حينما وضع ثعلب الكناية تحت اسم "لطافة المعنى"[6]، وقد اطلع على تعليق ابن قتيبة حول قول الأعشى:

---

[1] سورة الفرقان، الآية 28.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص: 202.

[3] ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: 163.

[4] سورة المائدة، الآية 75.

[5] المبرّد ، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، مج2، ص: 06.

[6] ثعلب، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995م، ص: 53.

يا خيـــر من يركـــب المطـــي ولا يشرب كـأســا بكـــف من بخـــلا

**2. التعريض.**

عرض لفلان وبه: إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه، يقال: عرّض تعريضاً إذا لم يسبب، والتعريض خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء.

وقال العلوي: "التعريض خلاف التصريح، يقال: عرضت لفلان أو بقلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعاريض في الكلام. وفي أمثالهم "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب". أرادوا أن المعاريض، فيها سعة عن قصد الكذب وتعمده، واشتقاقه من قولهم عرض له كذا إذا عن، لأن الواحد منا قد يعرض له أمر خلاف التصريح فيؤثره ويقصده".

التعريض من الأساليب العربية العريقة، وقد استعمله الشعراء فقال كعب ابن زهير[1]:

يمشون مشي الجمال الزهر يحصمهم ضربٌ إذا عـــرّد الســـود التنابيـل

يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه فأنكرت قريش ما قال، و قالوا: لم تمدحنا إذا هجوتهم، ولم يقبلوا ذلك حتى قال :

من ســـره كرم الميـــاه فلا يـزل في مقنـب من صـالحي الأنصـار

الباذليـــن نفوسهـــم لنبقيهـــم يـــوم الهيـــاج وسطـوة الجبار

وقد ذكر المتقدمون كالفرّاء ولم يمسه. ولكن تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى﴾، يدل على أنه عرفه وفهمه، وذكره ابن قتيبة وتحدث عنه، وعقد له وللكناية باباً وقال: "ومن هذا الباب التعريض والعرب تستعمله في كلامها كثيراً فتبلغ ارادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء، ويقولون: "لا يحسن التعريض إلاّ ثلباً"، وقد جعله الله في خطبة النساء في عدتهن جائزاً فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ ولم يجز التصريح، والتعريض في الخطبة أن يقول

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د ط، 1986م، ج2، ص: 276.

الرجل للمرأة: "والله إنك لجميلة، ولعل الله، ان يرزقك بعلاً صالحاً وأن النساء لمن حاجتي، وهذا، وأشباهه من الكلام"[1].

وقد جاء في القرآن الكريم التعريض، فمن ذلك ما خبر الله سبحانه وتعالى من نبأ الخصم: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾[2].

إنما هو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى له، ونبهه على خطيئته به، وروى المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله سبحانه حكاية عن موسى صلى الله عليه: "لا تؤاخذني بما نسيت"[3] لم ينس ولكنها من معاريض الكلام[4].

**رابعا: قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة:**

ولدت قضية اللفظ والمعنى في رحاب الفلسفة والدين بسبب ذلك الجدل الطويل الذي كان يدور بين طوائف المسلمين المختلفة حول مجموعة من القضايا التي تتعلق بالقرآن الكريم: كقضية المحكم والمتشابه، وجواز تفسير المتشابه أو عدمه، وقضية قدم القرآن أو حدوثه، وكونه مخلوقاً أو غير مخلوق، وحول جواز قراءة القرآن بغير العربية أو عدم جوازها، الى غير ذلك من المسائل والأمور التي اشتد الخلاف حولها، واتصل الجدل بها. وقد خاض الفقهاء ورجال الدين في الحديث عن قضية اللفظ. والمعنى كما خاض فيها المتكلمون، وكانت لهم في ذلك آراء ووجهات نظر متعددة.[5]

[1] المرجع السابق، ص: 277.

[2] سورة ص، الآية 22.

[3] سورة ص، الآية 23

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص: 266-267.

[5] وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص: 373.

وقبل التطرق للحديث عن اللفظ والمعنى في رأي ابن قتيبة، سنعرج أولا عن هاته القضية في بيئته أي البيئة المعتزلية.

## 1. قضية اللفظ والمعنى في البيئة الاعتزالية.

ولعل أبرز نموذج اهتم بقضية اللفظ والمعنى في البيئة الاعتزالية هو الجاحظ[1].

فقد أذاع فكرة أهمية اللفظ وخطره وترجيحه على المعنى، دون أن يقصد اسقاط المعنى أو احتقاره، ولكن قول الجاحظ حمل منذ البداية على غير ما أراد صاحبه، وتوهمه الناس طرحاً لقيمة المعاني، وحط من قدرها، وترك هذا التصور خطراً عظيما على المقاييس الأدبية لذا انصرفت عناية الناس من يومئذ الى الشكل. وأعطته الأهمية الأولى في قضية اللفظ والمعنى أبا هلال العسكري الذي أرجع أسرار الجمال الفني في الشعر الى اللفظ، وغال في ذلك.

ولاشك أن الجاحظ حيث تحدث عن المعاني المطروحة في الطريق، لم يكن يريد اللفظ المفرد، وإنما هي الصور التي تحدث في المعاني[2].

## 2. قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة

قد وجد عاملان جديدان في الحياة العلمية أوجدا روحاً خاصة في النقد، فأوجد في بعض لماء ذهنيات خاصة، لا عهد لنا بها من قبل: عالم البلاغة، وعالم المنطق. ونحن نعلم أن المتكلمين وأصحاب الفرق الدينية، وجماعات الكتاب الذين ينتمون الى محتد غير عربي، قد تكلموا في ماهية البلاغة، وفي بعض أصولها، كالإيجاز ومطابقة الكلام بمقتضى الحال.

يشكوا ابن قتيبة من انصراف الناس عن الأدب، وتنكبهم عن سبيله، واكتفاء كاتبهم، بأن يكون حسن الحظ، وشاعرهم يصف قنينة أو كأساً، ولطيفهم أو مبتحرهم بمطالعة شيء من تقويم الكواكب وحد المنطق، ثم يتخذ ذلك أداة الى الطعن في كلام الله وحديث الرسول وحسبه أن

[1] المرجع نفسه، ص: 388-392.
[2] المرجع نفسه، ص: 379-382.

يقال: دقيق النظر، وفخره أن ينال من الأحداث الأغرار بألفاظ الكون والفساد، والكيفية والكمية شباهها مما يهول ويروع، وما هو البحث بهائل ولا رائع، يشكو ابن قتيبة من انحراف المتبحرين عن النظر في عالم الكتاب، وفي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته[1].

ولا يعادي ابن قتيبة المنطق لأنه يجهله، ولا يعيب على معاصريه الا من توغله فيه، وانصرافهم بسببه عن درس الثقافة العربية والاسلامية التي هي أولى وأمثل. يريد ابن قتيبة للناس في عصره اتزاناً في العلم، وملاءمة بين المعارف، فلا يدعون العالم العربي للمعارف الأجنبية. هذا ما دعى له الجاحظ أولاً وابن قتيبة ثانياً[2].

وهذا المنحى الخاص هو البحث في الأدب بروح العلم، وهو التمشي بالنقد الأدبي الى أن يكون كالعلم دقة وتحديداً، وهو تحليل الشعر الى عناصره، وحصر حالات كل عنصر، هو تنظيم ما عرف من الآراء والأفكار قديماً في النقد، ووضعها في أصول عامة وقواعد عامة يلمسها الناقد ويضع يده عليها. وبعد؟ فيصبح النقد كالعلم، له قيود وضوابط، وتصبح عناصر الأدب في بنيته ومعانيه وجماله الفني الذي يدرك إلا بالذوق، ولا يأتي تصويره باللفظ في كثير من المواطن، يصبح ذلك كله معيناً، له أصول، وله نعوت، وله حالات لا تتخلف، ويصبح الناقد أمام أمور محدودة محصورة يسهل عليها أن يحللها، وأن يحكم عليها. فأما كيف نظم ابن قتيبة، ووضع لأول مرة في نقد الشعر قواع وضوابط فنحن نوجزه فيما يأتي:[3]

تدبر ابن قتيبة الشعر فوجده أربعة أضرب: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفـــس راغبـــة إذا رغبتـــها وإذا تـــرد الى قليـــل تقنـــع

وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول جرير:

إن الذيـــن غدوا بلبـــك غـادروا وشـلا بعينـــك ما يـزال معيـــناً

[1] طه أحمد ابراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية، السعودية، دط، 2004 م، ص: 116-117.

[2] المرجع نفسه، ص: 117.

[3] المرجع السابق، ص 117-118.

غيضـــن من غبـــراتهن وقلـــن لي مــاذا لقيــت من الهــوى ولقينــا

وضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد ابن ربيعة:

ما عــاتب المـــرء الكـريم كنفسه والمــرء يصلحــه الجليــس الصــالح

فهو، وإن كان جيد المعنى والسبك، وقليل الماء والرونق. وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى:

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو مثل شلول شلشل شول

فهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، وقد كان يستغني بأحدها عن جميعها. ويريد ابن قتيبة باللفظ التأليف والنظم، يريد الصياغة كلها بما تضمنته من لفظ ووزن وروي، ويريد بالمعنى الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات،.

ولكن على أي أساس تكون الصياغة حسنة أو حلوة أو قاصرة؟ وعلى أي أساس يكون المعنى جيداً أو متخلفاً؟ تكون الصياغة حسنة حيث تكون حسنة المخارج والمطالع والمقاطع والسبك عذبة، لها ماء ورونق سهلة، بعيدة عن التعقد والاستكراه، قريبة من أفهام العوام، ليس فيها بشاعة، وتكون حسنة إذا خلت من عيوب الشعر وضروراته واستقام الوزن، وحسن الروي.[1]

وهذا التخريج لقضية اللفظ والمعنى بالصورة التي وضعها ابن قتيبة، أو إذا شئت الدقة التي

ا بها قد أثر في كثير من النقاد من بعده بدرجات تتفاوت حسب عقلية الناقد واتجاهه،

فنجد ناقداً كقدامة بن جعفر، تستهويه هذه الطريقة فيتمادى فيها ويغري بالتجريد والتقرير، ويغرد أبواباً لعيوب اللفظ، وأخرى لمحاسنه، وكذلك بالنسبة للمعنى، ويفرض هذا الاتجاه نفسه على البحث البلاغي[2]. وهذا جانب نقدي أكثر منه بلاغي.

وهذه بعض النماذج حول قضايا تخص اللفظ والمعنى تطرق لها ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) منها:

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، ص: 118.

[2] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، دار المعارف، الاسكندرية، دط، دت، ص: 69.

**مخالفة ظاهرة اللفظ معناه:** ويقصد به إستعمال لفظ يحمل معنى محدد بمعنى آخر بعيد عن معناه الحقيقي.

أ) من ذلك على جهة الذم لا يراد به الوقوع: كقوله الله عز وجل: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠﴾[1]، و﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾[2]، و﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾[3] وأشباه ذلك.

. يراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل في منطقة، أو في شعره، او رمية، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال، وأخزاه الله ما أشعره، ولله دره ما أحسن ما احتج به.

ومن هذا قول إمرؤ القيس في وصف رام مصاب:

فهـــــــولا تنمـــــــي رميتـــه مالـــــــه لا عـــــــد من نفـــره

يقول: إذا عد نفره –أي قومه– لم يعد معهم، كأنه قال: قاتله الله، أماته الله[4].

ب) ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير:

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[5]، ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾[6]، ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾[7].

ومنه من يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب: كقوله:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢﴾[8]، كأنه قال: عم يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبأ العظيم يتساءلون.

---

[1] سورة الذاريات، الآية 10.

[2] سورة عبس، الآية 17.

[3] سورة التوبة، الآية 30.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص: 170.

[5] سورة المائدة، الآية 116.

[6] سورة طه، الآية 17.

[7] سورة الأنبياء، 42.

[8] سورة النبأ، الآية 01-02

وقوله: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢﴾[1] على التعجب، ثم قال: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾[2] أجلت.

ج) وأن يأتي على مذهب الاستفهام وهو توبيخ: كقوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾[3].

أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد: كقوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾ ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[4].

ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد: نحو قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾[5].

وقوله: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ٤﴾[6].

وتقول قوم عدل، قال زهير:

من يشتجـــر قوم يقل سرواتهـــم هـــم بيننا فهـــم رضاً وقـوم عدل

د) ومنه أن يوصف الواحد بالجمع: نحو قولهم: "برمة أعشار وثوب أهدام وأسمال، ونعل أسماط، أي غير مطبقة.

هـ) ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما: كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[7] وروي في التفسير: أن الناسي كان يوشع بن نون ويدلك قوله لموسى. وقوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾[8]، والرسل من الإنس دون الجن.

---

[1] سورة المرسلات، الآية 12

[2] سورة المرسلات، الآية 13

[3] سورة الشعراء، الآية 156.

[4] سورة فصلت، الآية 40.

[5] سورة المائدة، الآية 06

[6] سورة التحريم، الآية 04

[7] سورة الكهف، الآية 61.

[8] سورة الأنعام، الآية 130."

**ملخص:**

وما نستنتجه في نهاية الفصل الأول ، نذكره فيما يأتي :

- مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة، كان قد استفاد من علماء قبله كالفرّاء من كتابه ( معاني القرآن ) وأبي عبيدة في كتابه ( مجاز القرآن) ، ووسّع في فكرتهما.تحديد....ا
- ستند ابن قتيبة في مفهومه للمجاز إلى مفهوم الجاحظ حيث يرى أن المجاز ضد الحقيقة وهو واقع في القرآن لا يمكن إغفاله أو إنكاره ، كما أن مفهوم الاستعارة لديه هي تلم الحقيقة الواضحة ، وليس كذبا ، ويستدل على صحة كلامه من القرآن أيضا.
- أولى ابن قتيبة اهتماما واضحا للكناية والتعريض ، وكان على دراية بكليهما.

الفصل الثاني:

# ملاحظات على منهج ابن قتيبة في كتابه

# الفصل الثاني: ملاحظات على منهج ابن قتيبة في كتابه

**توطئة:**

**أولا : عدم التبويب العلمي**

**ثانيا : اضطراب مدلول المصطلحات**

**ثالثا: اختلاط القضايا البلاغية وامتزاجها بقضايا العلوم الأخرى:**

العامل الأول:

العامل الثاني:

**رابعا: عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة**

**ملخص:**

**توطئة:**

اتسمت المباحث البلاغية عند ابن قتيبة – ومن عاصره – بمجموعة من السمات والخصائص العامة، التي يمكن أن نسمّيها " غياب المنهج العلمي في التصنيف" ولقد كان هذا الأمر طبيعيا ومتوقعا في تلك المرحلة المبكرة من حياة البلاغة العربية، فالعلوم في نشأتها لا تتبلور لها مناهج محددة ولم يكن هذا الأمر مقصورا على البلاغة وحدها، بل لقد اتسعت هذه المظاهر لتشمل كل العلوم العربية الاسلامية، بما في ذلك العلوم التي سبقت البلاغة في النشأة.

## أولا : عدم التبويب العلمي

إن المؤلفات البلاغية في تلك الحقبة – لم تعرف التبويب العلمي الدقيق ، الذي هو أبرز خصائص المنهج العلمي ، وإنما كان الطابع العام لها هو الخلط والاستطراد الذي يخرج بالقارئ عن الخط الأساسي في فكرة المؤلف[1] . وهذا ما يتضح لنا جليا في باب القول في المجاز عند ابن قتيبة في كتابه ( تأويل مشكل القرآن)فمثلا قوله : ( وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره في بئر ذي أروان ، واستخرجه ( علي) منها ، وجعل يحله عقدة عقدة ، فكلما حل عقدة وجد النبي ، صلى الله عليه وسلم راحة وخفة، فلما نزع من حله قام النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنما أنشط من عقال )[2] . وهذا استطراد واضح جلي.

وبالإضافة إلى الاستطراد، كان المؤلف يفرع حديثه عن القضية الواحدة او الفكرة الواحدة إلى مواد كثيرة ، يبثها في أكثر موضع من مواضع الكتاب ، مما يجهد القارئ في لم شتات الأفكار، وجمع أجزاءها المتناثرة[3]، مثل ما جاء به ابن قتيبة في ( تأويل مشكل القرآن ) حول مذهب العرب في ( القدر) ، قائلا : ( وقد أعلمتك في كتاب ( غريب الحديث ) أن فريقا منهم يقولون: لا يلزمنا إسم ( القدر) عن طريق اللغة، لأنه يتأول علينا أن نقول : لا قدر ، فكيف ننسب إلى ما نجحد ؟

وأن هذا تمويه، وإنما نسبوا إلى (القدر) لأنهم يضيقونه إلى أنفسهم ، وغيرهم يجعله لله دون نفسه، ومدعي الشيء لنفسه أولى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره)[4].

هذا يكن هناك ترابط علمي بين فصول تلك الكتب وأبوابها ، مما يفقدها وحدتها العلمية[5]، فعند تصفحنا لكتاب ( تأويل مشكل القرآن وخاصة الفهرس ن يتضح لنا غياب الترابط العلمي بين فصول هذا المتاب فنجد ابن قتيبة يخصص بابا للمتشابه ثم بابا للقول في المجاز وبعده باب الاستعارة ثم باب المقلوب فالحذف والاختصار فباب تكرار الكلام ثم باب الكناية والتعريض، كما نجد خلطا بين أبواب الكتاب أفقتها وحدتها العلمية.

---

[1] أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، ص: 75.

[2] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص :77.

[3] أحمد جمال العمري،مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،ص: 76.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط دار الكتب العلمية، ص :85.

[5] أحمد جمال العمري،مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،ص: 76.

وقد كانت ظاهرة عدم التبويب العلمي، بصورها المتعددة تلك شركة بين مؤلفات تلك المرحلة ..... مجاز القرآن ، ومعاني القرآن ، وتأويل القرآن.... وغيرها[1].

فعلى الرغم من أن هذه الكتب تعد من أوائل البحوث البلاغية في تلك المرحلة الأولى.

بل لعلها أهمها على الإطلاق ، فإن افتقار هذه الكتب إلى التبويب العلمي الدقيق يجعل الإفادة الكاملة منها، على قدر كبير من الصعوبة والعسر ، ويجعل القارئ يبذل جهدا كبيرا في سبيل استخلاص جملة الآراء المبعثرة بين أنحائها.

**ثانيا : اضطراب مدلول المصطلحات**

استخدم العلماء في تلك المرحلة المبكرة مجموعة كبيرة من المصطلحات البلاغية الأساسية ، حيث ورد في مباحثهم كثير منها مثل : بلاغة، فصاحة، بيان، بديع، ومجاز، وكناية ، وتشبيه، واستعارة، وإيجاز، وإطناب ....الخ.

والباحث المطلع على هذه المصنفات ، يدرك أنهم لم يكونوا يستخدمون تلك المصطلحات بمدلولات علمية محددة ، على نحو ما تحدد لها فيما بعد من مدلولات بل كانت تدور في مصنفاتهم بمدلولات عامة، أقرب ما تكون دلالات لغوية وضعية، أي أن هده الكلمات كانت بالنسبة لهم مفردات لغوية عادية[2] .

ففي ( تأويل مشكل القرآن ) نجد خلط أو عدم تحديد المصطلحات البلاغية وتخصيصها، فنجد ابن قتيبة يطلق على الاستعارة مجازا أو أحيانا العكس، فحين لم يذكر ابن قتيبة مفهوما محمدا للمجاز أو الاستعارة سوى استعماله بالمعنى المقابل للحقيقة.

ومن الملاحظ أن المدلولات المصطلحات العامة الأساسية في العلم، لمصطلح " البلاغة " ذاته، الذي أصبح فيما بعد عنوانا على العلم كله[3]، ففي كتاب ( البيان والتبيين) للجاحظ تعريفات

[1] المرجع السابق، ص :76.

[2] أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،،ص : 76.

[3] المرجع نفسه،ص :نفسها.

كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم ، وفسرها عمرو بين عبيد في أول الأمر تفسيرا دينيا ثن قال:" فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام "[1]، وهذا ما ذهب إليه، ابن قتيبة أيضا .

وكذلك مصطلحي " البيان" و " البديع"، فمفهومها عند ابن قتيبة هو مفهوم عام كمفهوم الجاحظ فالبيان واسع المعنى وهو الكشف والإيضاح والفهم والإفهام ، وكذا مصطلح " البديع" الذي جاء بمفهوم المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية[2] .

وهذان المصطلحان أصبحا بدورهما عنوانين على فرعين من فروعه الثلاثة الأساسية، كانت أكثر اضطرابا وعمومية من المصطلحات الجزئية، كمصطلحات " التشبيه" و" الإيجاز" و "الإطناب" مثلا، هذه الأخيرة كانت تستعمل في مدلولات شديدة القرب من مدلولاتها البلاغية[3] .

ف" الإيجاز" من أهم خصائص اللغة العربية ، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب، وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، فأكثم بن صيفي رأى أن البلاغة هي الإيجاز[4]. و "الإطناب" كان الجاحظ قد أشار إليه كثيرا، وقال إنه ليس بإطالة ما لم يجاوز الكلام الحاجة، وبحثه العسكري في كتابه للصناعتين وقال: ( القول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام)[5].

وهذه المصطلحات وإن كانت في هذه المرحلة على هذا القدر من الاضطراب والغموض، فإن محاولات علماء هذه المرحلة في تحديد مفهوم علمي لها، سواء عن طريق السياقات التي يوردونها فيها، أو عن طريق الأمثلة التي كانوا يضربونها، أو عن طريق محاولة وضع تعريف علمي لها، كانت هي الأساس الذي اعتمد العلماء المتأخرون في تحديد مدلولات دقيقة لها[6].

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص :234.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص: 222.

[3] علي عشري زايد، البلاغة العربية : تاريخها ومصادرها ومنهجها، مكتبة الشباب، القاهرة ، دط ، 1978 م ، ص :38.

[4] أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص :222.

[5] المرجع نفسه،ص :132.

[6] أحمد جمال العمري،مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،ص: 79.

لم يكن مصطلح " البيان" بأسعد حظا من زميله " البلاغة" من حيث إضطراب مفهومه، وعدم تحدده من البلاغيين[1] .

أما مصطلح " البديع " الذي سيصبح في المرحلة التالية ، وعلى امتداد حقبة طويلة من تاريخ البلاغة العربية أهم المصطلحات البلاغية، وأكثرها شيوعا، فإنه لم يلق في هذه مثل حظ مصطلحي " البلاغة " و " البيان" من الرواج وحفاوة العلماء. ولقد كان بعض العلماء يستخدم مصطلح " البديع" بمعنى قريب من دلالته اللغوية ، أي ما يرادف الجدة والطرفة والبراعة ، وإن كان يستعمله في سياق يوحي بأنه يقصره على الأساليب الجديدة والطريقة في الشعر، من ذلك ما ذهب إليه الجاحظ، في سياق حديثه عن كلثوم بن عمرو العتابي إلى أن .... رد على ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع ، يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين، كنحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد وأشباههما، وكان العتابي يتحدى حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة"[2].

ومن هنا نعلم – أن الجاحظ يحصر البديع في نطاق الشعر الجديد الطريف، وإن كان لم يحدد خصائص هذا البديع وحدوده، وهذا ما لاحظناه أثناء دراستنا للبديع عند ابن قتيبة ، الذي لم تكن أفكاره وليدة الصدفة، وإنما من باب تأثره وانتهاجه طريق الجاحظ في معالجته للمسائل البلاغية.

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص : 44.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 7، 1998 م ، ج1 ، ص: 51.

**ثالثا: اختلاط القضايا البلاغية وامتزاجها بقضايا العلوم الأخرى:**

إن من الطبيعي أن تختلط قضايا البلاغية وتمتزج بموضوعات العلوم الأخرى التي نشأت البلاغة على هامشها، وأن يكون هذا الامتزاج سمة من أبرز سمات البحوث البلاغية في تلك المرحلة.

وقد ساعد على ظهور هذه السمة في مصنفات البلاغة عاملان بارزان :

**العامل الأول:**

أن العلوم العربية والإسلامية التي نشأ البلاغة على هامشها، لم تكن في ذاتها قد تبلورت بعدن ووضحت معالم محددة لها، على الرغم من أن بعض هذه العلوم كان قد تجاوز مرحلة البداية بقليل، ولكن حتى في تلك المرحلة من حياة العلوم تختلط قضايا العلم، بقضايا العلوم الأخرى، حيث لا تكون حدوده على قدر الصلابة يحول دون تسرب موضوعات العلوم الأخرى ومباحثها، ومن ثم فقد تداخلت حدود هذه العلوم، وتشابكت إلى الحد الذي يندر معه العثور على كتاب خالص لعلم من العلوم في تلك المرحلة[1].

وخير مثال على ذلك كتاب ( تأويل مشكل القرآن)، حيث يعده علماء التفسير كتاب تفسير ، ويعده اللغويين كتاب لغة، ويعده مؤرخو البلاغة كتاب بلاغة والذي ساعد على توزيع الكتاب بين هذه العلوم الثلاثة، أن أيا منها لم يكن قد بلغ مرحلة النضج والتبلور النهائي[2].

وأيضا كتاب ( الحيوان) للجاحظ الذي جمع عدة علوم ودرسها فنجد الأخبار والأمثال ممزوجة بقضايا بلاغية وقضايا نحوية.

[1] أحمد جمال العمري،مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،ص: 80.

[2] المرجع نفسه ، ص:80.

**العامل الثاني:**

أن علماء تلك المرحلة كانوا موسوعيين، لم يكن الواحد منهم يحصر نفسه في دائرة معرفة "واحدة" يتجاوزها، وإنما كانت تتعدد معارفهم، وتتنوع ثقافاتهم ، الأمر الذي ترتب عليه عدم وجود العالم المتخصص في البلاغة، أو في أي علم من العلوم، فكان العالم البلاغي مثلا متكلما، أو ناقدا، أو لغويا، وقد يكون لديه هذه التخصصات جميعها[1].

وهذا ما ينطبق على ابن قتيبة الذي كان متعدد المعارف والثقافة مما لمسنا أن دراسته لبعض القضايا البلاغية طبع عليها امتزاج من علوم أخرى غيرها وخاصة العلوم القرآنية.

ولـ . كانت أبرز العلوم التي اختلطت قضايا البلاغة ، علوم المجموعات الثلاث التي نشأت البلاغة على هامشها، وهي مجموعة العلوم القرآنية ومجموعة العلوم اللغوية، ومجموعة العلوم الأدبية[2].

وقد وجدنا مدى امتزاج قضايا البلاغة، بقضايا المجموعتين الأوليين في مجاز القرآن ، أما امتزاج القضايا البلاغية بموضوعات العلوم الأدبية، فيتضح وضوحا كليا في كتب الجاحظ مثل (البيان والتبيين) الذي يعد موسوعة أدبية ضخمة، حوت الكثير من الأفكار والآراء البلاغية والنقدية[3].

**رابعا: عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة**

ولقد وضح في هذه المرحلة الأولى المبكرة عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة، أو استقلال بعضها عن بعض، ذلك أن علوم البلاغة لم تكن كملت كعلم، او استقلت عن سواها من العلوم الأخرى، التي نشأت على هامشها[4]، في القرن الثالث الهجري الفترة التي سبقت مرحلة النضج والازدهار والتي تميزت بغياب التبويب العلمي في التصنيف فعلى الرغم من ا، علماء هذه المرحلة قد اكتشفوا كثيرا من الأساليب البلاغية وأشاروا ولو بشكل مجمل إلى كثير من الفنون التي أصبحت فيما بعد هي الركائز تمض عليها كل علم من علوم البلاغة الثلاثة، فإن تصنيف هذه الفنون، وهذه الأساليب إلى ثلاث مجموعات يمثل كل منها فرعا من فروع البلاغة مسألة لم تطرح في مؤلفات هذه المرحلة، فلم

[1] المرجع السابق، ص : 80.

[2] المرجع نفسه ، ص : نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص : 81.

[4] أحمد جمال العمري،مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،ص: 81.

، أي نوع من الفصل بين الفنون التي نهض عليها فيما بعد علم البيان، مثل التشبيه والاستعارة، والكناية والمجاز، وقد أشار إليها – كما عرفنا – جميع علماء هذه المرحلة وهذه التي أصبحت ركائز علم المعاني، كالإيجاز والإطناب ن والتقديم والتأخير، وخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى وغير ذلك من المباحث التي اندرجت فيما بعد تحت علم المعاني تلك التي صنعت في المراحل تحت علم البديع، كالالتفات والمذهب الكلامي وغيرهما[1].

ولعلّ الجرجاني صاحب كتابي ( أسرار البلاغة) و ( دلائل الإعجاز) أكبر مثال عن التعميم بين علم المعاني والبيان في كتابيه السابقين.

كما كان الإمام الجرجاني أرسى أركان علم المعاني في كتابه ( دلائل الإعجاز) فكذلك أوضح في (أسرار البلاغة) كثيرا من أسرار الجمال في الصورة الأدبية، وبين معالم التشبيه والاستعارة ، وكان له فضل كبير في تحديد معالم الفن الذي عرف فيما بعد بعلم البيان[2]. ولكن مع ذلك لم يميز الجرجاني تمييزا كليا بين العلمين.

وإذا كان مصطلحان من المصطلحات الثلاث ، التي أصبحت فيما بعد عناوين للعلوم البلاغية الثلاثة، قد عرفا واستخدما في مؤلفات تلك المرحلة ، وهما مصطلحا ( البيان والبديع) ، بما لم يستخدما في مدلولهما الذي تحدد لهما – فيما بعد– اي باعتبارهما عنوانين على فرعين متميزين من فروع البلاغة الثلاثة ويكفي أن نذكر ، أن مدلول مصطلح ( البيان ) عند الجاحظ مثلا، كان أعم من مدلول مصطلح البلاغة الذي سار البيان فرعها من فروعه.

هذا دفع علماء البلاغة اللاحقين، إلى استخدام مصطلح البديع بهذا المفهوم طول المرحلة الثانية، وشطرا طويلا من المرحلة الثالثة[3].

[1] المرجع نفسه،ص نفسها.

[2] مازن مبارك، الموجز في تاريخ البلاغة ، ص :101.

[3] علي عشري زايد، البلاغة العربية : تاريخها ومصادرها ومناهجها، ص: 47-48.

**ملخص:**

ولعل أهم ما نستخلصه من الفصل الثاني، ما يلي:

- تميزت المؤلفات البلاغية في عصر ابن قتيبة بعدم معرفتها التبويب العلمي الدقيق، وهذا ما لمسناه في كتابه ( تأويل مشكل القرآن) .
- المصطلحات البلاغية لدى ابن قتيبة وحتى علماء عصره لم تكن مصطلحات بمدلولات محددة، بل كانت ذات مدلولات عامة ومضطربة.
- إطلاع ابن قتيبة على العديد من العلوم كالنحو والإعجاز و غيرهما وعمله على دراستها، أخذ به هذا إلى اختلاط القضايا البلاغية المدروسة.

علوم البلاغة الثلاثة ( المعاني، البيان، والبديع ) لم تكن مميزة بعضها عن بعض، فكان العديد من علماء البلاغة لا يحسنون الفصل بينها وعلى رأسهم ابن قتيبة.

# الخاتمة

## الخاتمة

وبعد هذا العرض المتواصل لفصول بحثنا هذا نصل إلى عرض جملة من النتائج التي أسفرت عنها دراستنا، والتي حاولنا جاهدين أن تكون دون إطناب ولا اختصار مخل، والله نسأل التوفيق والسداد.

1. صنف " ابن قتيبة " " تأويل مشكل القرآن" للرد على الملاحدة وأشباههم ، والذين كانوا يطعنون على القرآن الكريم فكان كتابه هذا عاملا هاما في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

2. أقام ابن قتيبة منهجه ودراسته بالاستشهاد بالقرآن الكريم خاصة وبعض من نصوص الشعر العربي الأصيل، ليقيم حجته على ما يقول، ويسقط دعوى الطاعنين.

3. كان ابن قتيبة يستمد عمله من الجاحظ (ت 255 هـ) خاصة في كتابه " الحيوان" ومن أبي عبيدة ( ت 210 هـ) في مصنفة " مجاز القرآن " إزاء بعض الآيات القرآنية من خلال صيفها ووجوه تعبير ومن خلال المجاز والاستعارة ومنه بدأ يظهر مفهوم البلاغة العربية عنده.

4. مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة: اقتصر على بعض المصطلحات البلاغية " كالمجاز" و"الاستعارة" و " الكناية والتعريض" وعلى " اللفظ والمعنى" وكان مصنفة قد جمعه ونقل مواده من كتب السابقين والمعاصرين له لكنه كان أحسن تبويبا وأكثر تنظيما.

5. باب المجاز جاء فيه ابن قتيبة بمفهومه مع استشهاد بالقرآن الكريم وبالنصوص الشعرية القديمة فمفهوم ابن قتيبة للمجاز هو ما كان ضد الحقيقة وهو ما يجمع جميع ألوان البيان، ويدخل في نطاقه أيضا عناصر المعاني ويشمل أيضا اللفظ والمعنى وهو وارد في القرآن فلا يجب إنكاره أو همالة ومعنى ذلك أن المجاز ليس الكذب فالقرآن منزه عنه.

6. أما باب الاستعارة وهو الذي أول به عناية كبيرة فمفهوم الاستعارة عنده اشتمل على " الكناية " وما عرف تحت فصل " المجاز المرسل " في عرف البلاغيين المتأخرين.ودافع ابن قتيبة لى الاستعارة كما دافع من قبل على المجاز نعرض لها أمثلة من القرآن وكان مفهومها عن ينطوي على أنها حقيقة واضحة، وليست كذبا.

7. باب الكناية والتعريض لم تتجلَّ صوره كثيرا في كتابه تأويل ( مشكل القرآن ) لأنه لم يفرّق بينها وبين الاستعارة بل اكتفى بعرض فكرة عنها في الاستعارة، ولكنها لمعت في ذهنه في كتابه الآخر " تأويل مختلف الحديث " ومن تحليلاته البلاغية في محور الكناية لبعض الآيات القرآنية ولبعض من كلام العرب ، هذا يدلّ على أنّ ابن قتيبة كان على دراية بالكناية وذكر لها أنواعا : * أن تكنى على اسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته، أو كتبت إليه * أو قد تأتي كلمة للكناية دالة على التعظيم.

8. أمّا بخصوص التعريض هو فرع من الكناية ، وهو كما ذكر بأنّه ما تستعمله العرب كثيرا في كلامها وهو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح.

9. إن اهتمامات ابن قتيبة البلاغية لم تكن محدودة عند علم البيان فقط بل تعدّته إلى علم المعاني وعلم البديع ولا ننسى ما قدمه في قضية اللفظ والمعنى من حيث بلاغة الكلام حيث قَسَّم الكلام على هذا الأساس، وهو ما عرّج عليه ابن قتيبة في علاقة قضية اللفظ والمعنى النقدية بالبلاغة.

10. عرف التأليف البلاغي في كتاب ﴿تأويل مشكل القرآن﴾ عند ابن قتيبة بعدم التبويب العلمي الدقيق،و اضطراب المصطلحات البلاغية فيه،فلم تكن ذات مدلولات خاصة آنذاك.

11. اهتمام ابن قتيبة بالعديد من العلوم مثل:النحو،الإعجاز،الأدب،النقد...، جعل دراساته البلاغية تتسم بنوع من الخلط ببقية العلوم الأخرى.

# الملاحق

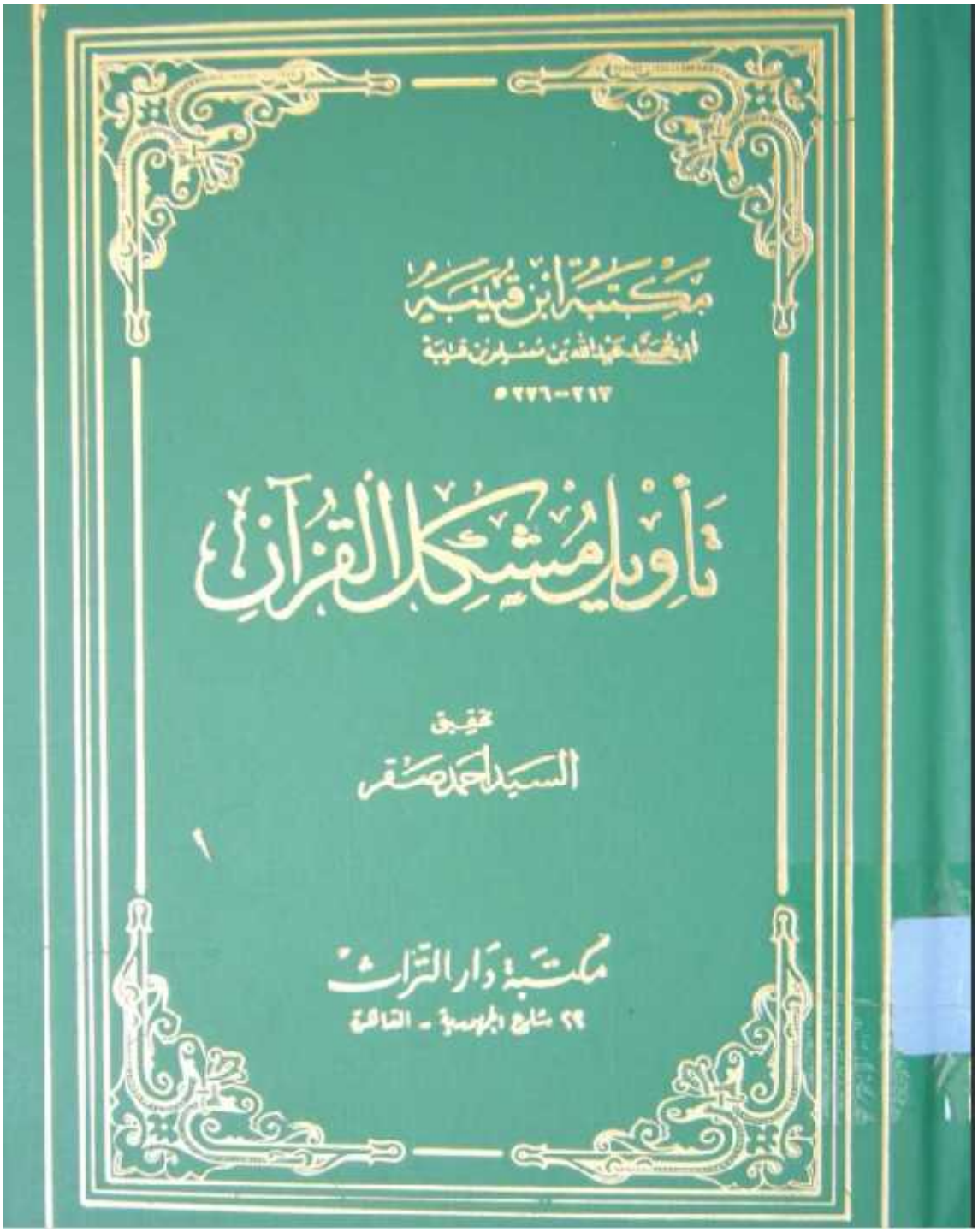
مكتبة ابن قتيبة
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٢١٣-٢٧٦ هـ
تأويل مشكل القرآن
تحقيق
السيد أحمد صقر
مكتبة دار التراث
٢٩ شارع الجمهورية - القاهرة

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « د »

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

**أولا:المصادر**

1-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،دار التراث،القاهرة،ط2،1973م.

2-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،تع: ابراهيم شمس الدّين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2002،1م.

**ثانيا:المراجع**

10-السيّد احمد الهاشمي،جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع،تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

11- شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،دار المعارف،القاهرة،دط،دت.

12-طه احمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،دار الفيصلية، السعودية،دط،2004م.

13-عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخيّة للشعوبيّة، دار الطليعة، بيروت، دط، 1913م.

14-عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي،دار غريب،القاهرة،دط، 1998 م.

15-علي عشري زايد، البلاغة العربيّة:تاريخها،مصادرها، و منهجها، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1978 م.

16-ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح:محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت.

17-ابن قتيبة، الشعر و الشعراء،تح:أحمد محمد شاكر،دار المعارف،القاهرة،دط،دت،ج1.

18-ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تح:محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.

19-ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،تح:السيّد أحمد صقر،دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، دت.

1-أبو عبيدة،مجاز القرآن،تع:محمود فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ج1.

20-مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، الإسكندرية، دط، دت.

21-المبرّد،الكامل في اللّغة و الأدب،تح:عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الاسلامية و الأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، دط، دت ،مج2

22-محمد زغلول سلام،تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية، السعودية، دط، 2004م.

23-محمد كرد علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1993م.

24-وليد قصّاب،التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة ﴿حتى نهاية القرن السادس الهجري﴾، دار الثقافة، الدوحة، دط، 1985م.

25-ياقوت الحموي الرومي،معجم الأدباء أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح:د/أحسان عبّاس،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993م، ج.1

2-أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري،دار المعارف،القاهرة،دط،دت.

3-أحمد مطلوب،معجم مصطلحات البلاغة و تطورها،مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1986م، ج2.

4-ثعلب،قواعد الشعر،تح:رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،1995م.

5-الجاحظ،البيان و التبيين،تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1998،7م،ج1.

6-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،علوم الدين،مصر،دط،1862م،ج2.

7-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي﴿الأدب القديم﴾،دار الجيل،بيروت،ط1، 1986م.

8-خير الدين الزركلي، الأعلام،دار العلم الملايين،بيروت، ط15،ماي 2002م، ج1.

9-ابن رشيق،العمدة،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل،بيروت، ط 1981،1م،ج1.

**ثالثا:المراجع الالكترونيّة**

1-أحمد فرج اللّه، في الزندقة والشعوبيّة، تص: قسم اللجنة العلميّة في شبكة الإمامين الحسينين، كنزا،www.alhassanian.com.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات


**مقدمة**.....أ

**مدخل: التعريف بابن قتيبة وكتابه ﴿تأويل مشكل القرآن﴾**.....**4**

**تمهيد:**.....**4**

**1. نبذة عن حياة ابن قتيبة:**.....**5**

أ. اسمه ونسبه.....5

ب. مولده ونشأته العلمية:.....5

ج. شيوخه:.....6

**2. طبيعة عصر ابن قتيبة:**.....**7**

**3. مؤلفات ابن قتيبة:**.....**10**

**4. وفاته:**.....**12**

**5. التعريف بالكتاب:**.....**13**

**6. سبب تأليف الكتاب:**.....**14**

عرض المدونة:.....15

**الفصل الأول: القضايا البلاغية عند بن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن**.....**18**

**توطئة:**.....**19**

**أولا: مفهوم البلاغة عند ابن قتيبة:**.....**20**

**ثانيا: المجاز والإستعارة:**.....**22**

1. المجاز:.....22

2. الاستعارة:.....26

**ثالثا: الكناية والتعريض:**.....**28**

1. الكناية.....28

2. التعريض..... 31
**رابعا: قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة: ..... 32**
1. قضية اللفظ والمعنى في البيئة الاعتزالية..... 33
2. قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة ..... 33
**ملخص: ..... 38**

**الفصل الثاني: ملاحظات على منهج ابن قتيبة في كتابه ..... 40**

**توطئة: ..... 41**
**أولا : عدم التبويب العلمي..... 42**
**ثانيا : اضطراب مدلول المصطلحات..... 43**
**ثالثا: اختلاط القضايا البلاغية وامتزاجها بقضايا العلوم الأخرى: ..... 46**
العامل الأول: ..... 46
العامل الثاني:..... 47
**رابعا: عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة..... 47**
**ملخص: ..... 49**
**الخاتمة ..... 51**

**الملاحق ..... 53**

**قائمة المصادر والمراجع ..... 57**

**فهرس المحتويات ..... 59**